المعالجة السيكولوجية للأطفال في مجتمع حديث

مقدمة
إلى
ندوة التنمية والطفل المنعقدة في وزارة التخطيط في
٢٢ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ

د. عبد الرحمن سليمان الطريري
أستاذ علم النفس المساعد
قسم علم النفس / جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

المعالجة السيكولوجية للأطفال في مجتمع حديث :

قد يتبادر الى الذهن في أول وهلة ان موضوع المعالجة السيكولوجية للأطفال في مجتمع حديث يرتبط بأحداث بعينها ومواقف معروفة محددة . وهذا قد يكون صحيحا ولكنه ليس الاطار الذي ننطلق منه في هذه الورقة أو هذا البحث . اذ أن الاطار الذي ننطلق منه يعتبر اطارا أعم وأشمل من مواقف محددة لأنه يفترض أن يتناول شخصية الفرد من معظم جوانبها وكذلك يتعامل معها من خلال مختلف المواقف والظروف التي يمر بها الفرد . ولعلنا نشير هنا الى الاطار التربوي كوعاء تختمر فيه شخصية الفرد وتترعرع وتنمو في شكل من الأشكال . واهتمامنا بموضوع التربية يعود في أساسه الى ما يترتب على الأساليب والطرق التربوية من أثر في قوام شخصية الفرد من مختلف أوجهها ولبناتها . اذ أن شخصية الطفل في نهاية الأمر النتيجة الحتمية التي ستتبلور كأثر من آثار المعالجة السيكولوجية . وبعيدا عن المفهوم الضيق للمعالجة السيكولوجية المرتبط بالمواقف والأحداث المحددة فان مفهوم المعالجة السيكولوجية يرتبط بمفهوم التربية أو التكوين التربوي كما سبق الاشارة ، والذي لا نقصره على مجال بل قد يشمل العديد من المجالات كالأسرة ، المدرسة ، الشارع ، وكل ما يمكن أن يقال بأنه رافد من روافد تكوين شخصية الطفل .

وعند الحديث عن التربية يستوقفنا مفهومان أساسيان وهما التربية التقليدية القديمة والتربية الحديثة . ومفهوم التربية التقليدية يرتبط بذلك الجو المتميز بالسكون التام وغياب الأصوات والحركة ما عدا صوت المدرس المجلجل والمهيمن على كل شيء في ذلك الموقف . ويكون التأكيد في التربية التقليدية منصبا على الجانب اللفظي وبعيدا عن الأساسيات دون اعطاء الفرصة للطلاب (الأطفال) من العمل بأنفسهم أو الاعتماد على ذواتهم حتى في الأشياء البسيطة . ويعبر عن المفاهيم السابقة للتربية التقليدية ما ذكره جود لاد ١٩٥٩ من أنها عبارة عن اعداد المحتوى التعليمي على شكل رزم مستهلكة وتدرس بطريقة ثابتة وغير متغيرة وتتميز هذه الطريقة كذلك بمنهج معد اعدادا سابقا لا يدع للفرد الفرصة في اكتشاف ذاته . وعلى النقيض من ذلك نجد التربية الحديثة تتميز ببعض الجوانب التي لا تتوافر في التربية القديمة ومن الدراسات المستفيضة التي قام بها مجموعة من الباحثين وهم

يتبع/٢ ..

برونر ١٩٦١ ، راشز ١٩٧١ ، ماسيلاس ١٩٦٤ ، سيكمان ١٩٦٤ ، تابـــــا ١٩٦٥ ، جويس ١٩٦٨ .

يستنتج أن المنهج الغير مقيد والغير معد مسبقا تكون نتائجه جلية على الطلاب وذلك من حيث اعداد أنفسهم واكتشاف حقيقتهم كما هي من حيث هواياتهم ورغباتهم وكذلك قدراتهم . ويذكر دارلنق ١٩٧٣ أن التعليم المثمر قد يتحقق من خلال تعليم الطلاب بعضهم بعضا ، العمل بمجموعات صغيرة وكذلك البيئة المرنة والمتغيرة بالاضافة الى التعامل المباشر مع المواد وتغييرها ، التقويم الذاتي ، حرية الحركة ، ومن ثم فرصة ممارسة المهارات المتعلمة .

ولعل ما يمكن القول بأنه انطلاقة أساسية للمربي أيا كان أما ، أبا أو مدرسا هو معرفته لبعض الأسس المهمة في معرفة الفرد وكيفية التعامل معه . ومن الأشياء المستحسن الالمام بها في هذا الشأن التوزيع الذي وضعه بياجيه ١٩٦٤ للنمو العقلي والتي تبدأ بالمرحلة اللمسية الحركية وتمتد من الولادة وحتى السنة الثانية أما المرحلة الثانية فهي ما قبل العمليات وتبدأ من السنة الثانية وحتى السابعة . أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة العمليات المحسوسة وهي تمتد من السنة السابعة وحتى الحادية عشرة أما المرحلة الأخيرة بناء على نظرية بياجيه فهي مرحلة العمليات الشكلية .

وتجدر الاشارة الى أن ما يهمنا في هذا التصور الذي وضعه بياجيه هو قدرتنا على ادراك طبيعة كل مرحلة من المراحل ومن ثم معرفة مستلزمات ومتطلبات كل مرحلة لأن هذا الادراك وهذه المعرفة تقع في صميم المعالجة السيكولوجية التي سنقوم بها وهذا بلا شك يتطلب منا اختيار أنسب طريقة للتعامل مع الطفل بناء على المرحلة التي يمر بها وكذلك حسن اختيار وتوفير الألعاب الملائمة التي تحقق الاشباع لرغبة الطفل في المعرفة وحبه في الاستكشاف . ولا شك أن فشلنا في الوقوف على حقيقة هذه المراحل سيقودنا الى شيء من التذبذب في المعاملة وسوء اختيار الحاجات والألعاب التي يحتاجها الطفل . وفي مثل هذه الممارسات ما قد يؤثر بشكل أو بآخر على نمو الطفل الجسمي والعاطفي والعقلي وهذا بلا شك سينعكس على سلوكه وتصرفاته سواء الخاصة أو العامة .

ولعلنا نعزز ما سبق الاشارة اليه من خلال ما استنتجه سيلبرمان ١٩٧٠ من أن أحد الواجبات الأساسية للمربي هو أن يتأكد من ايجاد العلاقة المناسبة بين ما هو متعلم وطريقة تعلمه وكذلك المرحلة التي يمر بها الطفل وذلك لأن

الخلل في نوعية وشكل العلاقة القائمة بين هذه العناصر سيؤدي في نهاية المطاف الى نتائج سلبية نلمح أثرها على سلوك الفرد وتصرفاته .

وتمشيا مع النمط العام لنظرية بياجيه يوجز لنا الكايند ١٩٧٠ بعض المبادئ الأساسية في تربية النشء والتي من أهمها تطوير أساليب الاتصال الناجحة مع الأطفال ، مساعدة الأطفال لتغيير المعلومات الموجودة لديهم وكذلك الانطلاق من مبدأ أن الطفل مخلوق قادر على التعلم بطبيعته . واستكمالا لأساسيات التعلم عند بياجيه يرى الكايند أن التعلم يحدث من خلال استحداث الحالات والمناسبات التي يتمثل فيها ايجاد الجو والبيئة العامة التي من خلالها يتم اكتشاف الفرد لذاته وتكون مهمة المربي في هذا النطاق قائمة على ايجاد البيئة والفرص المناسبة المتسمة بطابع التحدي للطفل ولكن بالقدر الغير منفر أو الذي لا يستطيع اكمال المشوار فيه . ومما يساعد على تحقيق هذه المهمة هو وجود شيء مألوف للطفل وآخر جديد وغير مألوف . ويضيف بارث ١٩٧١ أنه من المهم أن يزود الأطفال بالمواد الأساسية والتي تمكنهم من الاكتشاف ، والتصنيف ، وكذلك معالجة الأشياء . ولعل الدراسات التي قام بها الكايند ١٩٧١ وكذلك تورانس ١٩٦١ تدعم أهمية استخدام طرق الاستكشاف ، الأسئلة ، معالجة الأشياء ، وكذلك تحوير الأفكار وذلك لما لهذه الطرق من أثر فعال على عملية التعلم وهذا بخلاف طريقة التعلم ذات الطابع الشكلي والتي يكون فيها المدرس هو مصدر كل شيء ومحوره .

ومن النتائج المترتبة على هذا النوع من التعلم والمتمثل في أن الطفل هو مصدر النشاط والحركة والتعلم ما أشار به ويبر ١٩٧٢ من أن هذه الأشياء قد يكون مردودها واضحا من خلال تقوية الأنا وذلك في اطار ارضاء حب الاستطلاع بالاضافة الى الاحساس بالتحدي . وتتبين لنا فعالية التعلم الذاتي كما في نموذج رقم (١) .

ولا شك أن تحقيق هذين الهدفين تقوية الأنا وكذلك بعث روح التحدي سيترتب عليها الكثير من النتائج مما قد نلمحه على سلوك الفرد في علاقاته مع الآخرين واهتماماته وكذلك نظرته لنفسه وللآخرين .

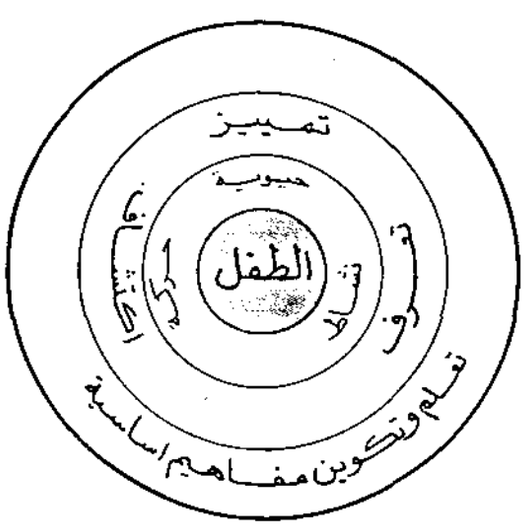

نموذج التعلم الذاتي (١) *

* تم عرضها في شفافيات أثناء الندوة .

التكوين النفسي للفرد :

ان التكوين النفسي للفرد ليس بالامكان أن يرد الى عنصر من العناصر ولكن لمجموعة من العناصر التي تعمل مجتمعة وتحدث أثرها في الطفل بحيث يكون هذا الأثر أحد المكونات الأساسية لكيان الفرد الانفعالي والذهني والذي لا شك أنه سينعكس على تصرفاته وسلوكه بشكل عام . ويعبر عن التكوين النفسي ما ذكرته انستازي وفولي من أن "التكوين النفسي للفرد لا يتحدد بفعل ما يرثه من عنصر أو جنس أو بنية جسمانية وانما يتحدد بفعل المجموعة الحضارية التي نشأ فيها وما يكون لها من تقاليد واتجاهات وقيم وبفعل ما تلزمه به وتفرضه عليه من وجهات نظر وبفعل ما تنميه فيه وتشجعه عليه من قدرات وامكانات" . وتتضح مكونات كيان الفرد كما في الشكل رقم (٢) .

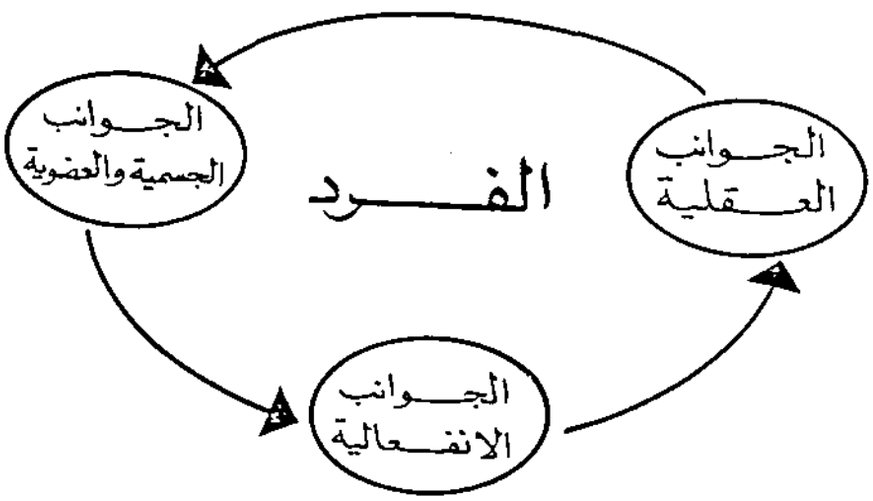

نموذج العناصر الأساسية لكيان الفرد (٢) *

* تم عرضها في شفافيات أثناء الندوة .

مكانة العواطف في حياة الفرد :

تلعب العواطف دورا أساسيا في حياة الأطفال ويتمثل الدور الذي تلعبه العواطف في توجيه وتعديل السلوك بالاضافة الى ما تمنحه للفرد من استقرار وثبات تنعكس آثاره على تصرفات الفرد بحيث تجعل منها تصرفات مدروسة وموجهة وليست عشوائية . والعواطف التي من الممكن احداثها لدى الأطفال بالامكان تصنيفها الى نوعين اما مادية أو معنوية . والمادية تكون مرتبطة بكل ما هو محسوس وملموس مثل الأفراد ، النقود ، الألعاب وما شابه ذلك . أما المعنوية فانها تختلف وذلك لأن التركيز فيها يكون منصبا على المعنويات والأشياء الغير محسوسة مثل حب الفضيلة وكراهية الرذيلة والصدق والشرف . ويبدأ تكوين العواطف لدى الفرد من الأشهر الأولى وذلك بأن تبدأ بجوانب وأشياء محدودة ثم تتسع وتتنوع حتى تكون الدائرة أكبر فأكبر مع زيادة العمر وذلك لتنوع الخبرات وكثرتها . وحري في هذه العجالة أن نشير الى الأهمية الناجمة عن نوعية العواطف المتكونة لدى الطفل وهذا بلا شك يفرض علينا مسؤوليات جسام تتمثل في أن تلعب الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام دورا أساسيا في تكون هذه العواطف وتأسيسها وذلك حتى لا يقع الأطفال فريسة لمصادر التأثير الخارجية التي بلا شك ستوجه العواطف بما يتلاءم مع توجهاتها وبما يخدم مصالحها . وتعظم مسئوليتنا في هذا العالم الذي سيطرت عليه التقنية الحديثة والسريعة بما تحمله من معلومات وأفكار ومبادئ تكون آثارها واضحة على أطفالنا في صغرهم وفي الكبر . وترجع أهمية تنشئة العواطف بشكل مدروس ومعد الى ما يمكن أن يتبلور عن هذه العواطف على صعيد المجتمع والأمة بشكل عام ولا سيما بما له علاقة بالقضايا المصيرية للأمة . اذ أن اهمال هذه القضايا وعدم الحرص على بث بذورها في نفوس الأطفال والناشئة أمر خطير تكون نتائجه وخيمة فعلى سبيل المثال قد تكون لدى فرد من الأفراد عاطفة سائدة هي حب الوطن فلا شك أن هذا الفرد سيوجه كل اهتماماته وأنشطته بما يخدم ويرضي عاطفة حبه لوطنه بينما قد يكون هناك شخص آخر تسيطر عليه عاطفة حب الذات ومثل هذا الشخص سنجد جل التصرفات والأعمال التي يقوم بها تخدم هذا الشيء . وبحكم الدور المهم والأساسي الذي تلعبه عاطفة اعتبار الذات في توجيه سلوك الطفل يكون لزاما أن نشير الى أن فكرة المرء عن نفسه بالامكان أن يترتب عليها أنماط سلوكية ايجابية وأخرى سلبية وذلك لأنه من الممكن أن تستثار هذه العاطفة فيقف موقفا شجاعا وملزما ان أحس من نفسه ميلا واقداما على شيء لا يرتضيه ومن ثم يحجم ويتراجع عن فعل ذلك الشيء . كذلك قد يشعر الانسان بالفرح والسرور عند تحقيقه لتلك الأشياء التي يريدها والمحببة الى ذاته

ويعبر عن أهمية عاطفة اعتبار الذات ودورها في توجيه السلوك ما ذكـــــره مكدوجل من أنها المنظم الأساسي للسلوك أو القائد الأعلى لبقية النزعـــات . وهي التي تتوقف عليها قوة الشخصية ووحدة أفعالها وتكامل نزعاتهـــــا . وبالامكان أن نبين كيفية تكون عاطفة اعتبار الذات والتي هي بمثابة الشخصية كما في نموذج رقم (٣) .

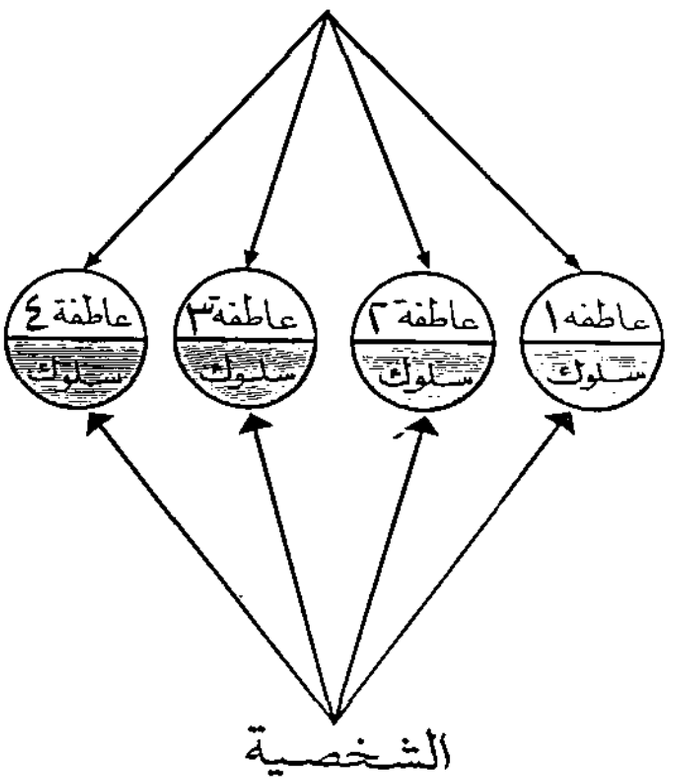

نموذج عاطفة اعتبار الذات (٣) *

ويتبلور دورنا كمربين آباء ومدرسين أو غيرهم في نشوء اعتبار الـــذات لدى أطفالنا من خلال التفاعل الحاصل بيننا وبينهم وما ينتج عن هذا التفاعل من مديح أو ذم أو ثواب أو عقاب وكل ما يترتب على هذه الأشياء من آثـــار . وجدير بنا في هذه العجالة أن نشير الى بعض الخصائص النفسية المترتبة علـى أسلوب التنشئة فكثيرا ما يتعرض الأطفال لحالات شبه ملازمة لهم تتمثـل في عدم الاستقرار النفسي والثورة العصبية المفاجئة . ومثل هذه الأشياء لا شك أنهـــا وليدة عوامل متعددة منها ما قد يكون مرجعه جسميا مثل حالات سوء الهضـــم وارتباكه وكذلك تضخم اللوز أو أي عرض من أعراض الصحة العامة ولا شك أن هذه

* تم عرضها في شفافيات أثناء الندوة .

الأسباب قد يتم ازالتها ومعالجتها الا أن تجنبها والوقاية منها منذ البداية يكون شيئا أساسيا ومطلوبا ، وذلك من أجل ضمان حياة مستقرة للطفل . ومن أبرز الأسباب الكامنة وراء العصبية هو عامل الوراثة والذي يتمثل في أن يرث الطفل من أبويه أو أحد أقاربه خصائص العصبية العامة المتمثلة في الثوران لأتفه الأسباب ، الغضب ، البكاء حتى للأشياء البسيطة وفوق كل هذا ضرب النفس أحيانا . وحري بنا ونحن نناقش جانبا مهما في حياة الطفل أن نشير الى ما قد يصاحب العصبية العامة من أعراض مثل الضعف العقلي والذي يكون أثره ملموسا في عدم قدرة الطفل على التركيز أو توجيه النشاط والحركات ونتيجة لهذا القصور تبدأ بوادر العصبية في الظهور .

ولعل الاهتمام في العصبية العامة كخاصية من خصائص شخصية الطفل المتوقع حدوثها عنده تقتضي أن نعرف الأسباب السيكولوجية الكامنة وراءها ، ان الشعور بالبؤس الذي يعتبر أحد مسببات العصبية العامة يوجد لدى الطفل نتيجة شعوره بعدم التحصيل المتوقع منه أو الذي يطمح اليه كذلك ينتج من شعوره بعدم توفر القدرة اللازمة لمثل ذلك التحصيل وهذا الشعور يحدث في حالة أن الطفل متخلف عقليا أو يعاني من بعض العاهات الجسمية كالصم أو البكم أو ضعف البصر .

وتجدر الاشارة الى خطأ يقدم عليه الآباء والمربون حين يولون رعايتهم وانتباههم لطفل دون آخر مما ينتج عنه الشعور بالدونية أو القصور لدى ذلك الطفل الذي لا ينال التقدير والاحترام كاخوانه أو كأقرانه وزملائه . ونستطيع أن نمثل العصبية والعوامل المحدثة لها كما في نموذج رقم (٤) .

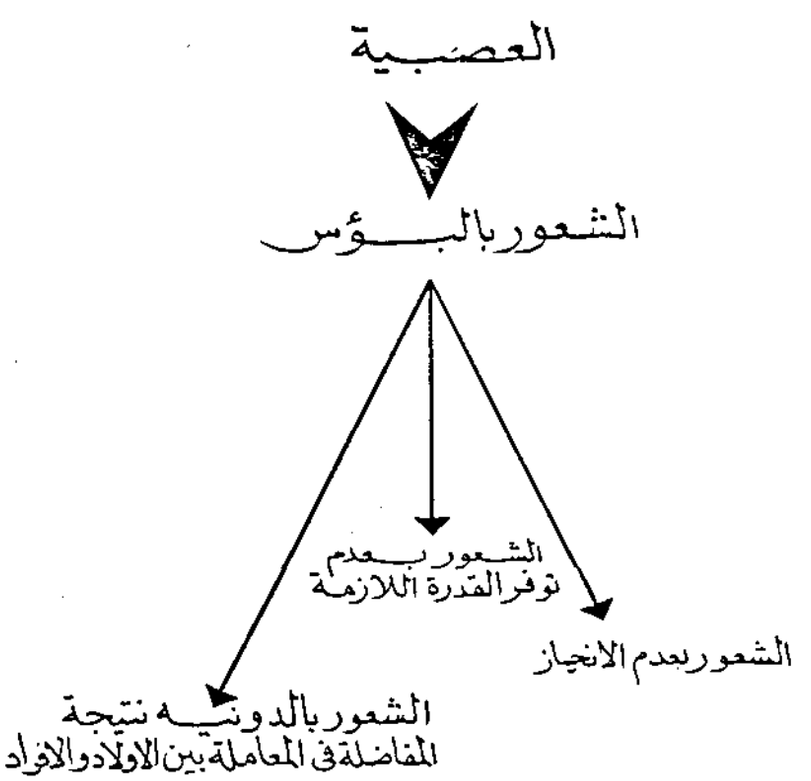

نموذج العصبية (٤) *

ولعل ما نود أن نسوقه في هذه العجالة هو أن بيئة الطفل والمجال الذي يوجد فيه لا بد أن تتوفر فيه بعض الأساسيات مثل حرية الحركة والحديث والتعبير عن

* تم عرضها في شفافيات أثناء الندوة(٧)

الرأي وكذلك لا بد من وجود سلطة ضابطة بعيدة عن التذبذب والارتجالية المتميزة بالحزم البعيدة عن الضغط والمتسمة بروح العطف والحنان وكل ذلك متوجا بشعور النجاح .

التربية الأسرية :

يلعب الأسلوب التربوي الذي تتخذه الأسرة في تنشئة صغارها دورا أساسيا في التشكيل النهائي لشخصية الفرد وذلك من خلال الحاجات الأساسية للطفل مثل الحاجة للأمن وكذلك الحاجة لحب الاستطلاع بما يصاحب ذلك من مخاطرة . ولا شك أن الحاجة للأمن نستطيع ملاحظتها من خلال سلوك الطفل المتمثل في الالتصاق بوالديه والبقاء قريبا منهم مثل قضاء معظم الوقت في المنزل أو اللعب بالقرب من المنزل . وبجانب هذه الحاجة توجد حاجة حب الاستطلاع التي تدفع بالطفل نحو التعرف على الأشياء , وتفحصها وهذه الحاجة ستقوده الى الخروج خارج المنزل واللعب بالأشياء وكذلك تكوين الرفاق والأصدقاء . ولا شك أن الدور الذي تلعبه الأسرة في هذا الشأن يكون جسيما وذلك لأن المهمة تتطلب من الأبوين أن يلتزما الحذر في عملية المعاملة فلا يفرطا أو يقصرا في المساعدة في تحقيق هذه الحاجات لأن المبالغة في المساعدة سيفقد الأطفال القدرة على الاستقلال عن الأبوين بالاضافة الى أنه سيوجد الاتكالية وسيخلق من الأطفال أفرادا غير قادرين على الاعتماد على ذواتهم حتى في أبسط الأشياء . ولتلافي سلبيات الافراط في المساعدة يتحتم علينا كمربين أن نسلك الطرق المؤدية الى غرس الثقة في النفس كأن نوكل اليهم بعض المهمات والأمور المنزلية أو تلك الخاصة بهم مثل تنظيم الملابس والأدوات وكذلك ترتيب القصص والكتب الخاصة بهم هذا فيما يتعلق بالطفولة المتقدمة . أما في الطفولة المتأخرة فان الأمر يقتضي أن يوكل اليهم مهمات أكبر تتناسب مع اعمارهم مثل استقبال الضيوف وأخذ الرأي منهم في بعض الأمور وكذلك الاعتماد عليهم في شراء بعض الأشياء المنزلية . ان اعطاء الطفل الفرصة للاختلاط بالآخرين ذو أهمية بالغة في تكوين شخصيته اذ أنه يساعد على الانطلاق نحو العالم الخارجي ويتعلم أصول الأخذ والعطاء القاضية بأن يتحرر الطفل من أنانيته في بعض الحالات وذلك حتى تتكون عنده الخبرة المطلوبة لمواجهة ظروف الحياة وكذلك حتى تتكون عنده مفاهيم الحق والواجب . ولا شك ان تكوين هذه المفاهيم في صغره سينعكس في كبره على سلوكه وتعامله مع الآخرين فهو سيعرف حدوده وأين يقف منها فلا يطلب الا ما هو حق له وكذلك لا يتردد في تلبية نداء الواجب كخدمة الوطن في مجال

عمل مثمر شريف والدفاع عنه وقت الأزمات والكربات . ولعل في المثال الذي أورده الدكتور عبد العزيز القوصي ما يدلل على الأثر الذي يحدثه الاعتماد على الأبوين .

"هناك طفل كان الذكر الأول بين اخوته وكان أبوه ذا صناعة لها مركز اجتماعي غير محترم . ويظهر ان الأم أرادت أن يتحقق في ابنها ما لم يتحقق لها في زوجها فعنيت بتعظيمه واحترامه وجعلته محور الأسرة كلها ، وأهملت والده وكانت تدلل ابنها تدليلا شديدا جدا وتجيب له أغلب رغباته ، وتتلذذ من هذا تلذذا شديدا وكان اذا احتك بأطفال آخرين أفهمته أنهم أطفال حقراء وأنه ليس مثلهم وأنه عظيم جدا وأنهم يشعرون بالغيرة منه الى غير ذلك . ثم كبر الولد وذهب الى المدرسة ، فاذا رسب - وكان كثير الرسوب - كانت تقول له : ان المدرسين يفعلون ذلك عن قصد ثم خرج وشغل وظيفة من الوظائف الحقيرة وكان في غاية الشدة على أمه ، يجبرها على تعظيمه واحترامه ، واجابة طلباته الى أن ضجرت نفسها . وكان يعتقد باستمرار أن زملاءه يعملون دائما ضده وانهم يكيدون ويدبرون المؤامرات لغيرتهم من ذكائه وقوة شخصيته وكان يشكو باستمرار من خسة هؤلاء الزملاء وسوء أخلاقهم وكان يعمل دائما للاتصال - على قيد المساواة - بأناس يرتفعون عنه كثيرا في المستوى العقلي والاجتماعي وكان يعتقد اعتقادا راسخا أنه عبقرية مدفونة ، غير مقدرة من هذا المجتمع الحانق الظالم" .

ومن الأمور ذات الأهمية في مجال التنشئة الأسرية التدخل المباشر والغير مباشر الذي يقدم عليه الأبوان في كل ما له علاقة بأبنائهم مثل اختيار ألوان أو أنواع احتياجاتهم كالملابس والألعاب والقصص الدراسي أو حتى العمل عندما يكبرون وذلك من خلال ما يغرسونه في نفوسهم منذ الصغر كأن يشددوا ويؤكدوا عليهم منذ الصغر بأن يكونوا أطباء أو مهندسين أو أدباء . ولا شك ان استخدام مثل هذه الأشياء فيه بعض الفائدة ولكن اذا تمادت تصبح عاملا من عوامل قتل الشخصية المتميزة للفرد وتضفي على الفرد طابع التردد وعدم الثقة بالاضافة الى عدم القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة فيما يواجهه من مواقف وذلك لأنهم يفتقدون الخبرة والتدريب اللازمين في هذا المجال ويعود هذا الشيء بصفة أساسية الى تبلد التفكير عند الفرد ان لم يكن قتله البتة . ويتضح دورنا كمربين مرة أخرى في أن نكون مدركين لخطورة التدخل في شئون الطفل ومن ثم العمل على تفادي مثل هذه الأخطاء التربوية قبل وقوعها وذلك من خلال اعطائه فرصة التفكير وغرس الثقة بالنفس وعدم الخوف من الوقوع

في الخطأ لأن الخطأ طريق الصواب كما يقول المثل . وقد يضاف الى ما سبق أهمية التزام السياسة الثابتة من قبل المربين في تنشئة الأطفال لأن السياسة المتذبذبة تكون آثارها على شكل ارتباك وتشويش لعقل الطفل الذي لا يستطيع أن يجد تفسيرا مقنعا للاختلاف والتذبذب في المعاملة فاذا كان المربي له موقف معين من شيء ما فلا يغير ذلك الموقف الا لأسباب مقنعة ويتم شرحها للطفل واقناعه بها حتى يعرف السر من تغيير الموقف تجاه ذلك الشيء والا ستكون الحيرة والقلق والاضطراب وعدم القدرة على صنع القرارات وربما الانهيار العصبي في بعض الحالات هي السمات المتميزة للأطفال الذين ينشؤون على مثل هذه التربية . كذلك فان اختلاف الأبوين في توجيهاتهما ونصائحهما للطفل قد يحدث لدى الطفل التناقض والصراع ومن ثم الحيرة والتردد والتعثر في كثير من الأمور .

علاقة المنزل بالمدرسة :

يرى كثير من المربين أهمية التدرج في عملية الانتقال التي يواجهها الطفل من المنزل الى المدرسة الى المجتمع ويقصد بالتدرج مراعاة عدم ايجاد الفجوة والاختلاف بين هذه البيئات الثلاث اختلافا كبيرا بحيث يكون الواقع غير محتمل بالنسبة للفرد . ويفترض أن يتم بناء على مستوى النمو العقلي والاجتماعي الذي يمر به الفرد . ولكي يتحقق التدرج فانه لا بد من وجود بعض الأمور المشتركة بين البيئات المختلفة فاذا كان الطفل يتمتع بالعطف والحنان والاحترام للرأي داخل منزله فان الأمر يستوجب توفر هذه الأشياء في بيئة المدرسة وذلك حتى لا يفقد الثقة بالنفس والشعور بالطمأنينة كذلك فان الأمر يستوجب أن يدرك الأبوان أهمية اشعار الطفل داخل المنزل بتلك المسئولية الاجتماعية التي تنتظره مثل انماء الشعور بالمسئولية الاجتماعية وكذلك الولاء الاجتماعي وذلك حتى لا يصطدم الفرد مع الواقع الاجتماعي في مستقبل حياته . وحول الجو المدرسي وضرورة تدرجه من جو المنزل يقول الدكتور عبد العزيز القوصي : "يجب أن يكون النشاط المدرسي متعدد النواحي ، وفي حدود مقدرة الطفل ، بحيث يعطيه فرصة اشباع الحاجة للشعور بالنجاح ولتقدير نفسه تقديرا مرضيا في نظر نفسه " .

ولا شك أن الارتباط بين جو المنزل والمدرسة يفترض أن يكون عاملا ايجابيا في تخريج أفراد يستطيعون التكيف والعمل بنجاح وتؤده في المجتمع

الكبير ولا يتحقق هذا الشيء الا اذا كانت المدرسة صورة من المجتمع تعكس ما فيه من ايجابيات وتنميها وتصور ما فيه من سلبيات وتحاربها وتنمي في الأطفال روح النفور والاشمئزاز من هذه الأشياء السلبية . وعليه فان المدرسة يجب أن تكون بيئة تستمد وتتغذى من المجتمع وكذلك تغذي المجتمع بما تخرجه وتعده من أجيال لديهم القدرة على فهم الجو الاجتماعي والعمل من أجل اصلاح المجتمع الذي يوجدون فيه . وهذا لا يتأتى للمدرسة الا حين يؤكد نظريا وعمليا على أن دور المدرسة تعليم الطفل اتجاهات وقيم وأساليب الحياة التي قبلها المجتمع له . والعمل المدرسي للفرد في حياته الحاضرة هو مساعدته على فهم الكثير من الأسرار ذات العلاقة بالظواهر المحيطة بالفرد ولا شك أن هذا الفهم سيؤدي الى سهولة التكيف والشعور بالأمن وذلك لأن الفرد يصبح قريبا من المعطيات المادية والاجتماعية مدركا لها ولمكوناتها . ومن الأشياء التي يقدمها العمل المدرسي اعطاء فرصة التعبير عن النزعات التي لديه مما يترتب عليه اكسابه لبعض المهارات اللغوية والاجتماعية والعقلية . ولا شك أن ما تقدم سيكون مطلبا أساسيا لتزويد الفرد بمتطلبات المستقبل مما يجعله يطمئن على مستقبله الوظيفي , ويرى الدكتور عبد العزيز القوصي أنه من خلال عاملي اشباع حاجات التلميذ النفسية وتحقيق الأمن الاجتماعي في المستقبل يتأثر واقع الطفل , فعدم تحقيق هذين العاملين قد يؤثر على الاتجاه العقلي للطفل مثل تشتت الانتباه والانصراف عن الدروس والهروب من المدرسة وكثرة أحلام اليقظة والخمول وسهولة اكتساب العادات السيئة مثل التدخين والسرقة والعادة السرية .

وتبرز أهمية وقيمة العمل المدرسي من خلال ما قد تساهم به المواد والمعلومات التي يدرسها الطالب من اكتساب وتنمية لبعض المهارات التي تكون أساس مستقبله وتشغله في حاضره وذلك حتى تصرفه عن الانزلاق وراء الملذات . ولا شك أن اكتساب مثل هذه العادات السيئة قد يرجع الى عامل الفراغ الذي يواجهه الطفل فعدم انشغاله جسميا وذهنيا ببعض الأشياء يجعله يبحث عن أشياء أخرى ليقضي بها على الوقت الذي يعاني منه .

ولعل ما يجب أن نشير اليه في هذه العجالة هو أن نجعل من الخبرات المدرسية شيئا سارا يحدث في نفس الطفل شعور النجاح والتفوق ويبعد عنه شبح الاخفاق والفشل وذلك لأن شعور النجاح الذي نستطيع أن نوجده كمربين في نفس الطفل له دور في تكوين شخصية الفرد المستقبلية وقد يترتب على مثل هذا الشعور جوانب كثيرة من حياة الفرد في المستقبل فالنجاح الشخصي والاجتماعي

الذي يحققه الفرد سيكون متأثرا بطبيعة ونوعية الخبرات التي أوجدناها في طفولة الفرد . ونتيجة ما تقدم من مناقشة فقد يكون بالامكان أن نوجز دور المدرسة بالآتي :

١ ـ تقديم الرعاية النفسية الى كل طفل وذلك من خلال تقديم المساعدات التي تناسب كل طفل وتعمل على حل مشاكله وأزماته .

٢ ـ المساعدة على الانتقال من طفل معتمد على غيره الى فرد يستطيع أن يعتمد على نفسه ويقوم هو بواجباته .

٣ ـ مساعدة الطفل على التأقلم والتكيف مع الظروف الطارئة مثل ارجاء الأهداف والرغبات الى وقت آخر اذا كانت الظروف لا تسمح بذلك .

٤ ـ تجنيب الطفل الشعور بالفشل والنقص وكل ما يمكن أن يؤثر على حياته الانفعالية .

٥ ـ التدرج مع قدرات واستعدادات الطفل وعدم تكليفه بما يفوق امكانياته وذلك حتى لا يقع فريسة الخبرات السيئة والمؤلمة .

ويجب التأكيد على أن تخلي المدرسة عن هذه المهمات قد يترتب عليه كثير من المشاكل المتمثلة في النمو النفسي الغير سليم وعدم التكيف الشخصي وكل هذا سيؤدي في نهاية الأمر الى العجز عن التكيف الاجتماعي .

<u>التنشئة الاجتماعية</u> :

يحتم الأمر أن نجعل جزءا من تنشئة الطفل موجهة للاهتمام بالقضايا الاجتماعية بما تعنيه هذه الكلمة من الشعور بالمواطنة والولاء للوطن الذي نشأ وترعرع فيه الطفل . ولعل أهم ما يمكن أن نعمل على ايجاده في نفس الطفل هو انطلاقه على المجتمع ومعرفة كل الجوانب ذات العلاقة والأثر في نوعية السلوك الذي سيصدر منه في مستقبل حياته وحاضرها . ولعل معرفة وتشرب العادات والتقاليد والقيم التي يؤمن بها المجتمع أمر بالغ الأهمية اذ أن

هذه الأشياء تعتبر بمثابة الدعامات الأساسية التي تعمل على وحدة بنية المجتمع وحمايتها من التفكك . وأثر المكونات الحضارية والثقافية لا شك أنه ذو أهمية في التأثير على تكوين شخصية الفرد وصقلها . ولا يمكن أن نلمس أثر المكونات الحضارية والثقافية اذا لم نحدث ونوجد المواقف ونعرض الطفل لها منذ البداية حتى يستطيع أن يواجه هذه المواقف ويتصرف ازاءها . ويعبر عن أهمية الحضارة والثقافة الباحثان باركز و رايت حيث يريا أن شخصية الناشيء انما تتكون من خلال التعرض للمواقف الحضارية والثقافية . وهذه المواقف قد تمتد من خلال طبيعة البيئة التي يعيش فيها الفرد فبيئة الريف أو القرية فيها مواقف تختلف عن تلك التي تتواجد في بيئة المدينة . كذلك فان التغيرات الاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع كفيلة بأن تحدث أثرا في أنماط سلوكية اجتماعية جديدة فعلى سبيل المثال الأنفتاح على العالم الخارجي قد يكون من آثاره اكتساب عادات وتقاليد جديدة سواء في المأكل أو الملبس أو التصرف بشكل عام وهذا قد يكون على حساب بعض عناصر التراث والتي تعتبر جزءا من مكونات الشخصية الاجتماعية . هذا بالاضافة الى ثورة الاتصالات سواء المرئية أو المسموعة أو المقروءة وما أحدثته من تغير في بعض الجوانب الأساسية المكونة لشخصية الفرد من حيث طريقة التفكير أو الاتجاهات الجديدة الممكن أن يكونها المرء تجاه الشعوب الأخرى أو القضايا أو تجاه أنظمة اجتماعية معينة وذلك كأثر من آثار ما تحمله الأدوات الاعلامية من مادة فكرية وحضارية اذ لا يقتصر أثر الفيلم على تصوير موقف من المواقف ولكنه بلا شك قد يؤثر في طريقة التفكير أو قد يغير في موقف الشخص من نظام أو أسلوب حياة لشعب من الشعوب . ولعل ما ترتب من تغير في الحياة الاجتماعية هو الطفرة الهائلة في استقدام الخدم والسائقين ، والمربيات ، ان أقل ما تحدثه هذه الطفرة من أثر على الشبيبة هو اكتساب عادات مستوردة تتمثل في طريقة التفاعل مع الآخرين ، طريقة الأكل ، واللباس ، بالاضافة الى اضعاف اللغة العربية عند الناشئة اذ أن أفراد العائلة بمن فيهم الأطفال قد يضطرون الى الحديث والتخاطب مع الخادمة أو السائق باللغة التي تفهمها أو يفهمها .

كذلك فان هذه الطفرة المتمثلة في استقدام الخدم والخادمات تمثل في مجملها تحولا خطيرا في مسار المجتمع حيث تحول الى مجتمع اتكالي حتى في أبسط الجوانب المتمثلة في اعداد الوجبة المنزلية كذلك تحول الى مجتمع اتكالي في أهم وأخطر مهمة تقع على عاتق أفراد الأسرة ألا وهي التربية والرعاية والاهتمام بالطفل . ان الطفل الذي يجد الرعاية والاهتمام من مصدر آخر غير أمه وأبيه أو أخته وأخيه سيكون جسرا من العلاقة والمودة والمحبة

بحيث يرتبط به وجدانيا بشكل قد يؤثر في عواطفه وعاداته ، وأهم من كل هذا قد يؤثر في الفكر الذي يحمله ذلك الفرد . ان معظم الدراسات في علم النفس تؤكد على أن مراحل الحياة الأولى تعتبر من أدق وأهم مراحل الحياة اذ أنه يوضع فيها اللبنات والقواعد الأساسية لمعظم جوانب التنشئة الأخلاقية ، العاطفية ، الفكرية ، الشخصية ، والاجتماعية . ويعبر عن الاتكالية ما ذكره امريش ١٩٦٤ حيث يرى ان نوعية التنشئة التي يتعرض لها الأطفال وما يصاحبها من حرمان عن الاتصال الاجتماعي في الكبار والناس الآخرين قد تؤدي الى زيادة درجة الاتكالية ويضيف قائلا ان العلاقة بين الاتكال الانفعالي والأدائي تكون عالية في الطفولة وقد تتناقص بزيادة سن الطفل .

توصيات :

١ - ضرورة تثقيف المربين وولاة أمر الأطفال بمختلف القضايا والحقائق ذات العلاقة بنمو الأطفال وتربيتهم بشكل عام .

٢ - ضرورة تزويد المربين وولاة الأمر بأفضل الأساليب والطرق التي من الممكن أن تستخدم في التعامل مع الأطفال .

٣ - ضرورة الاهتمام والعناية بتوجيه اتجاهات وعواطف الأطفال منذ الصغر والعمل على رعايتها حتى لا يكون الطفل مجالا للتأثير من قبل مصادر أخرى .

٤ - ضرورة ايجاد البيئة الثرية التي تساعد على صقل شخصية الطفل من كل جوانبها وذلك حتى لا يقع اختلال في أحد العناصر المكونة لشخصية الفرد .

٥ - ضرورة النظر الى شخصية الطفل نظرة تكاملية جسمية انفعالية ، فكرية ، عقائدية واجتماعية .

ولا شك ان ما سبق الاشارة اليه من توصيات بالامكان تحقيقه من خلال اعادة النظر في برامج تنمية الطفل وادخال الجوانب المهمة فيها وكذلك قد يقتضي الأمر ايجاد برامج جديدة قد تشمل البرامج المدرسية ، التلفزيونية ، الاذاعية وكذلك مرافق الحياة العامة التي لها علاقة ومساس بحياة الطفل ونموه .

المراجع

1 - Coodlad, John i"Pressures to learn can be Blocks to learning childhood Education". 36, 4 Dee., 1959.

2 - Bruner, Jerome S. "Culture, Politics and pedagogy: Saturday Review of Education, May, 1969.

3 - Raths, James, Pancella, John and Van Ness, Sames (eds.) studying Teaching, New Jessey: Prentice Hall, 1971.

4 - Darling, David. The University of New Mexico. Spring, 1973.

5 - Darling, Jean. Development and learning" Piaget Rediscovered Ithaca, New York: School of education, cornell univ., 1964.

6 - Silberman, Charless. Crisis in the classroom. New York: Random House, 1970.

7 - Elkind, David. Children and adolescents: Ihterpretive Essays on Jean Piaget. New York: Oxford Univ. Press, 1970.

8 - Barth, Roland "On selecting Materials for the classroom" Nation's schools 27,5, May 1971.

9 - Barth, Roland. "On selecting Materials for the classroom" Nation's School's 87, 5 May 1971.

10- Torrance, Paul. "Factors Affecting creative thinking in children: Interim Research Report "Merrill-Palmer Quarterly 1961.

11- Weber, Evelyn. "Conceptions of child Growth and learning & Washington, D.C. Association for supervision and Curriculum Development, 1972.

١٢ ـ القوصي عبد العزيز . أسس الصحة النفسية . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٨٢ .

١٣ ـ سلامة أحمد عبد العزيز . وعبد الغفار عبد السلام . علم النفس الاجتماعي . دار النهضة العربية ١٩٧٢م .